

السخرية والاستهزاء

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد:

فالسخرية من الرسل وأتباعهم من سمات الكفار والمنافقين، وقد نهينا عن التشبه بهم؛ وذلك لأن فيها مخالفة صريحة لأمر الله عز وجل، ثم هي جالبة لسخطه مستوجبة لعذابه، كما أن السخرية داء من أدواء الجاهلية يجب تجنبه والبعد عنه، فقد كان الكفار

يسخرون من فقر المسلمين وضعف حالهم وقلة حظوظهم من الدنيا، وتهكموا بالصلاة والأذان والصدقات والخروج للجهاد في سبيل الله...

وقد نجد اليوم من يسخر من اللحية والحجاب والنطق بلغة القرآن والكثير من شعائر الإسلام، ولا يقتصر ذلك على أعداء الإسلام، بل يتعداهم إلى البعض ممن هو من جلدتنا ويتكلم بلساننا ولا سبب لذلك إلاّ الجهالة وغربة الإسلام وسط أهله وبنيه، حتى صارت السخرية من الدين مادة فكاهة وضحك!!، متناسين الوعيد الشديد والندم على ما قدمت أيديهم ﴿**أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ** ﴿٥٦﴾﴾ [الزمر: ٥٦]

وقال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ** ﴿٢٩﴾ **وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ** ﴿٣٠﴾ **وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ**

أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ (٣١) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلاءِ لَضَالُّونَ (٣٢) وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ (٣٣) فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (٣٤) عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ (٣٥) هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٣٦) ﴾ [المطففين: ٢٩ – ٣٦].

والآيات في هذا المعنى كثيرة، والهمز باللسان واللمز بالعين من السخرية، قال تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ (١) ﴾ [الهمزة: ١]، وقال: ﴿ وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَّهِينٍ (١٠) هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ (١١) ﴾ [القلم: ١٠، ١١].

والهُمَزة الذي يؤذي جلساءه بسوء اللفظ أو يسخر من الناس بالإشارة المفهمة إلى الوصف بالجنون والرمز بالاستخفاف، أما اللُمَزة فهو الذي يكسر عينه على جليسه ويشير بعينه ورأسه وبحاجبيه.

وقد تشمل السخرية من الناس بالقول، كتسمية الشخص باسم يدل على عاهة أو مرض، أو اتهامه

بخليقة سيئة أو التعريض بذلك، وكما دخل الهمز واللمز في مفهوم السخرية كذلك دخل التنابز بالألقاب في نفس المفهوم، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ ﴾

[الحجرات: ١١].

قيل: نزلت في عائشة رضي الله عنها أشارت بيدها إلى صفية (قائلة): يا نبي الله إنها لقصيرة.

وقال عكرمة وابن عباس: أن صفية بنت حُييٍّ قالت: يا رسول الله، إن النساء يُعيّرنني ويقلن لي يا يهودية.

والتنابز بالألقاب هو دعاء المرء صاحبه بما يكرهه من اسم أو صفة، وعمّ الله بنهيه ذلك، ولم يخصص به بعض الألقاب دون بعض.

وقد ساوى البعض بين السخرية والاستهزاء، كما في تفسير قوله تعالى: ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ (١١٠)﴾ [المؤمنون: ١١٠]، حكى القرطبي عن بعضهم أن الكسر ﴿سِخْرِيًّا﴾ بمعنى الاستهزاء والسخرية بالقوم، والضم «سُخريا» بمعنى التسخير والاستعباد بالفعل.

والاستسخار أن يدعو بعض الناس بعضًا إلى السخرية، وبهذا فُسر قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ (١٤)﴾ [الصافات: ١٤].

ونقل ابن كثير عن قتادة ومجاهد: يستسخرون يستهزئون، وفرّق البعض بين السخرية والاستهزاء من جهتين:

الأولى: السخرية تكون بالفعل وبالقول، والهزء لا

يكون إلاَّ بالقول.

الثانية: أن السخرية يسبقها عمل من أجله يُسخر بصاحبه، أما الاستهزاء فلا يسبقه ذلك.

والتهكم والتعيير من معاني السخرية ولا تخلو ألفاظ التهكم من لفظ من الألفاظ الدالة على الذم أو لفظة معناها الهجو، أما التعيير بالفقر أو الذنب أو العلة أو ما شابه ذلك، فكلها صور وأشكال داخلة ضمن مفهوم السخرية، وكلها محرمة، قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾

[البقرة: ٢١٢]

وقال: ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (١٠)﴾ [الأنعام: ١٠]

وقال: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي

الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٩) ﴾ [التوبة: ٧٩].

وعن أم هانئ عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿ **وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ** ﴾ [العنكبوت: ٢٩] قال: «**كانوا يخذفون** (أي يحقرون وينبذون) **أهل الأرض ويسخرون منهم**» [رواه أحمد والترمذي].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت للنبيّ ﷺ: حسبُك من صفية كذا وكذا – تعني أنها قصيرة –، فقال: «**لقد قلت كلمة لو مُزجت بماء البحر لمزجته**»، قالت: وحكيتُ له إنسانًا فقال: «**ما أحب أني حكيتُ إنسانًا وأنّ لي كذا وكذا**» [رواه أبو داود والترمذي وإسناده صحيح].

ولما سب أبو ذر رجلاً فعيّره بأمه، قال له النّبيّ ﷺ:

«**يا أبا ذر، أعيّرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية**» [رواه البخاري].

وفي مثل ذلك نزل قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ** ﴾ وقيل نزلت في عكرمة بن أبي جهل حين قدم المدينة مسلمًا، وكان المسلمون إذا رأوه قالوا: ابن فرعون هذه الأمة؛ فشكا ذلك إلى النبي ﷺ فنزلت. وقال الضحاك: نزلت في وفد بني تميم كانوا يستهزئون بفقراء الصحابة مثل عمار وخبّاب وبلال وصهيب وسلمان وسالم – مولى أبي حذيفة – وغيرهم، لما رأوا من رثاثة حالهم، فنزلت في الذين آمنوا منهم.

وقال النيسابوري في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (٢٩)** ﴾ [المطففين: ٢٩] قال المفسرون: هم مشركو مكة، أبو جهل والوليد بن المغيرة

وأضرابهما كانوا يضحكون من عمار وصهيب وبلال وغيرهم من فقراء المؤمنين.

وقيل: جاء عليٌّ بن أبي طالب ﷺ في نفر من المسلمين فسخر منهم المنافقون وتغامزوا، ثم رجعوا إلى أصحابهم فقالوا: رأينا اليوم الأصلع، فضحكوا منه فنزلت هذه الآية قبل أن يصل عليٌّ ﷺ إلى النبيّ ﷺ.

قال البعض: «لو سخرت من راضع لخشيت أن يجوز بي فعله».

وعن عبد الله بن مسعود: البلاء موكل بالقول، لو سخرت من كلب لخشيت أن أُحوّل كلبًا. قال: وإني لأكره أن أرى الرجل فارغًا ليس في عمل آخرة ولا دنيا.

وعن أُسير بن جابر أن أهل الكوفة وفدوا إلى عمر وفيهم رجل ممن كان يسخر بأويس فقال عمر: هل ههنا

أحد من القرنيين؟ فجاء ذلك الرجل، فقال عمر: إن رسول الله ﷺ قد قال: «**إن رجلاً يأتيكم من اليمن يُقال له أويس، لا يدع باليمن غير أمٍّ له، قد كان به بياض فدعا الله فأذهبه عنه، إلاَّ موضع الدينار أو الدرهم، فمن لقيه منكم فليستغفر لكم**».

فينبغي ألاَّ يجترئ أحد على الاستهزاء بمن رآه رث الحال أو ذا عاهة في بدنه، أو غير لبقٍ في محادثته، فلعلّه أخلص نفسًا وأنقى قلبًا، وأتقى لله ممن هو على ضد صفته، فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله، والاستهزاء بمن عظّمه الله.

ولذلك كانت حيطة سلفنا الصالح وتباعدهم عن معاني السخرية والاستهزاء، فهي تُنسي الإنسان ذكر ربه، وتُميت القلب وتورثه الغفلة كما أنها نذير شؤم للساخرين فقد كان الغرق عاقبة قوم نوح الذين كفروا

بالله وسخروا من نوح والساخرون من الناس في الدنيا يسخر منهم الله عز وجل وأنبياؤه الكرام.

وقانا الله وإياكم الزلل والهوى ومضلات الفتن.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبه

سعيد عبد العظيم

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

